أسلوب ألحُصري في :
زهر الآداب وثمر الألباب

أ.م.د. ستار جبار رزيج
كلية التربية / جامعة المثنى

الخلاصة :

يلقي هذا البحث الضوء على اسلوب الحصري القيرواني في كتابه (زهر الاداب وثمر الالباب) حيث يمكن القول ان اسلوب ذلك الاديب ممثلاً لادب القرن الخامس الهجري قد جاء حاملا لدرجة عالية من الوعي النظري بخصائص تصنيف الاختبارات نمطا ابداعيا تصنيفيا قائما بنفسه ، ففضلا عن موسوعية الحصري التي حاولت ان تتجاوز كل المعارف التي يتيح الكشف عنها المضمون ذاته ، تميز اسلوبه وبالاخص في المفاصل التي برزت فيها شخصيته وبانت معالمه الذاتية بالعناية باختبار كلماته فصيحة سهلة مأنوسة وبتركيب جمله تركيبا واضحا دالا على معناه دلالة ظاهرة بحيث جاء كلامه مطابقا في جزالته او سهولته لمقتضى الحال .

المقدمة :

استحوذ كتاب (زهر الآداب وثمر الألباب) الذي وضعه أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣ للهجرة) على موقع متميز في لائحة المصنفات الأدبية التي شكلت بمجموعها العام معالم الصورة الإبداعية للأدب العربي في البيئة المغربية تلك التي لم تنفصل لا واقعياً ولا فنياً عن البيئة المشرقية ذات الخصوصية الواضحة في احتضانها للقران الكريم وتفاعله - كتاباً إبداعياً متكاملاً-مع منجز أبنائها في الجاهلية وصولاً الى مستويات من الإنجاز الإبداعي تفاوتت في ما بينها مضامين واداء فنيا، وعلى الرغم من إن هذا الكتاب لم يكن في الحقيقة إلا امتثالاً تصنيفياً لرغبة نفسية لدى أحد أرباب السلطة من هواة الأدب ومتذوقيه وهو – على حسب الحصري في مقدمته- أبو الفضل العباس بن سليمان - مما فرض مجيء ذلك الجهد في إ طار الجمع التراكمي لاشارات أدبية متباينة ذات ابعاد موضوعية مختلفة، وعلى الرغم من ذلك فأن هكذا منجز لم يخل تماماً من مؤشرات ترتبط وشخصية صاحبه القيرواني واسلوبه الادبي الخاص الذي لم يكن ممكناً ان يتخلف كلية عن الحضور وان غابت ملامحه الخارجية وراء البناء الذي تقوم عليه أمثال (زهر الآداب) من مصنفات. ومثل هذه الحقيقة دفعت بالباحث الى ارتياد ميدان الدراسة الفنية لأسلوب الحصري في كتابه معتمدا في الأساس على ما سطره هو عن منجزه من آراء وما جاء في الكتاب نفسه من اداء فني له مميزاته وسماته الخاصة القابلة للكشف والاستقراء، ولما كان لابد من تحديد طبعة للكتاب في خضم تعدد طبعاته فقد اعتمدت على شرح الدكتور زكي مبارك بطبعته الثانية المنقحة والمزيدة بإضافات غنية لمحمد محيي الدين عبد الحميد المعروف بتوجهه التحقيقي الرصين مضيفاً إلى ذلك بعض المراجع الأخرى التي تمس واقع الدراسة عن قريب أو بعيد، وقد دفعني الإطار العام للدراسة الى توزيعها في تمهيد ومبحث أساس وخاتمة فجاء التمهيد إضاءة على الجانب الموضوعي في كتاب زهر الآداب وفق الخلفية التأريخية لمصنفه الحصري القيرواني بينما جاء المبحث الاساس محاولة لاستجلاء المؤشرات الاساسية لأسلوب ذلك الاديب المغربي الشهير ولم تكن الخاتمة إلا إيجازاً لما خرج به البحث من نتائج لاتدعي لنفسها- لو نطقت- الكمال بل غاية ما يصفها صاحبها القاصر بطبعه أنها محض أفكار بحثت في موضوع الدراسة عن ادلة لها فحالفها الحظ حيناً وعجزت عن ان تثبت لنفسها شرعية الصمود بوجه النقد المعارض حيناً آخر والله ولي التوفيق.

التمهيد :

بدأ واضحاً من الوجهة التأريخية ان كتاب (زهر الآداب وثمر الألباب)يمثل معلماً اساسياً لملكة الابداع النثري لدى مؤلفه أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني(ت ٤٥٣) الى جانب ما امتلكه ذلك الاديب من اداء شعري خاص سمح له بأن يأخذ مكاناً متواضعاً بين اقرانه من الشعراء الآخرين إذ لم يكن هذا الاديب المغربي صاحب حضور شعري واضح وان ترجم له أحد المصنفين قائلاً: ((الحصري الاديب شاعر المغرب إبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني وشعره سائر مدون وله كتاب زهر الآداب وكتاب المصون في الهوى ، مدح الكبراء وتوفي سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خالة الشاعر الشهير أبي الحسن الحصري)) (١) وفي رأيي ان مثل هذه الترجمة وإن أشارت الى شاعرية الحصري معلما أساسياً في شخصيته إلا أنها لم ترتق الى مستوى القول بأسبقيته الشعرية أن جعلته شاعر المغرب إذ لا يمكن ان نعد (مدح الكبراء) وهو الوصف الذي أسبغه المترجم عليه مؤشراً نقدياً قطعياً على منزلته الشعرية المتميزة وبالاخص حين تتجه تلك الترجمة الى ان تجعل من صلته الاسرية بابن خالته أبي الحسن الحصري الشاعر المشهور مؤشراً للدلالة عليه وهذا الاخير هو الذي يصفه بعض المؤرخين بأنه كان ((بحر براعة ورأس صناعة وزعيم جماعة طرأ على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان والادب يومئذٍ معمور الطريق فتهادته ملوك طوائفها تهادي الرياض بالنسيم وتنافسو فيه تنافس الديار في الإنس المقيم))(٢) ولم يكن هذا النهج حكراً على صاحب الترجمة السابقة بل نجده حاضراً لدى ابن خلكان في وفياته أيضاًحين يشير الى أبي الحسن الحصري بالشعر بينما يصف أبا اسحق بأنه صاحب زهر الآداب (٣) والذي نخلص اليه مما تقدّم ان الحصري شاعر لم تنفرد ملكته الشعرية بوضعه في موضع (الاديب المبدع) وإنما تعاضدت في ذلك مع ميله نحو التصنيف النثري ليلتقيا معاً في كتاب (زهر الاداب) الذي وصفه بعض المتقدمين بأنه ((جمع كل غريبة)) (٤) وهو ما يراه الدكتور زكي مبارك وصفاً صادقاً يعكس واقع الكتاب ومحتواه(٥) وللوهلة الأولى يبدو كتاب الحصري القيرواني محاولة لتكوين موسوعة أدبية تفي بحاجة أحد كبراء عصره الذي بلغ به عشقه للأدب ونوادره أن ارتحل الى المشرق في طلبه وفي هذا الباب يقول الحصري ((وسألني ان اجمع له من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه وشابهه وماثله فسارعت الى مراده وأعنته على اجتهاده))(٦) وفي أطار ما تقدم لم يكن غريباً ان يأتي زهر الآداب من منهج الاختيارات نفسه بما لها من سمات خاصة تختلف الى حد بعيد عن مؤلفات الابداع الذاتي-ان صح التعبير- اذ ضمنه الحصري ((قطعة كاملة من البلاغات في الشعر والخبر والفصول والفقر ممّا حسن لفظه ومعناه وأستدلّ بفحواه على مغزاه ولم يكن شارداً حوشياً ولا ساقطاً سوقياً)) (٧) .

ولموسوعية الكتاب وميل مصنفه الى اختيار الأخبار والروايات القصيرة ذات الدلالة الأدبية الخاصة فقد امكن له ان يكون كتاباً ((يتصرف الناظر فيه من نثره الى شعره ومطبوعه الى مصنوعه ومحاورته الى مفاخرته ومناقلته الى مساجلته وخطابه المبهت الى جوابه المسكت وتشبيهاته المصيبة الى اختراعاته الغريبه وأوصافه الباهرة الى أمثاله السائرة وجدّه المعجب الى هزله المطرب وجزله الرائع الى رقيقه البارع، وقد نزعت فيما جمعت عن ترتيب البيوت وعن إفراد شكله وافراد الشيء عن مثله فجعلت بعضه مسلسلاً وتركت بعضه مرسلاً ليحصل محرر النقد مقدر السرد وقد أخذ بطرفي التأليف وأشتمل على حاشيتي التصنيف)) (٨)، والذي يبدو ان الحصري كان يحاول في كتابه ان يتجاوز حدود المتناول في عصره وفي العصور التي سبقته بحيث يكون منجزه الأدبي ذلك مرجعاً أساسا يستغني به مريدوه ((عن جميع كتب الاداب إذ كان موشحاً من بدائع البديع ولآلىء الميكالي وشهي الخوارزمي وغرائب الصاحب ونفيس قابوس وشذور أبي منصور بكلام يمتزج بأجراء النفس لطافة وبالهواء رقة وبالماء عذوبة)) (٩)وعلى الرغم من جرأة الكاتب القيرواني في التصدي لهذه المهمة إلا ان وعيه بحدود قدراته من جهة وطبيعة ما أنجزه من تصنيف دفعه الى الاعتراف ان (زهر الاداب) لن يكون مؤشراً على ابداع صاحبه قدر كونه يمثل صوره من عقله إذ ليس له ((في تأليفه من الافتخار اكثر من حسن الاختيار واختيار المرء قطعة من عقله تدّل على تخلفه أو فضله))(١٠) فالحصري القيرواني لم

يشأ ان يصف نفسه ومنجزه بأكثر ممّا يعيه من واقعهما وما يرجوه لهما من مكانة ومن هنا أمكن القول أننا امام نمط من التصنيف الأدبي يبدو في إ طاره العام ذاتياً كونه ينبع من اختيار المؤلف لمفردات قليلة في خضم سيل من الاشارات والروايات في حين يبقى ما يتحرك ضمن ذلك الإطار موضوعياً في محتواه مفصولاً عن أدب المصنف الجامع ، وأيا كان حال هذا الرأي من جهة القبول فما يمكن الركون إليه ابتداء ان بقاء (زهر الاداب) في حدود النهج التصنيفي القائم على الاختيار لا يلغي إمكانية ان يجد المتأمل فيه معالم شخصية تتّصل من قريب أو بعيد بمن وقف وراء ظهور ذلك الكتاب وهو ما سيكون مدار المبحث التالي عليه في محاولة لدراسة أسلوب الحصري القيرواني فنياً .

أسلوب الحصري في(زهر الآداب وثمر الألباب) دراسة فنية :

في قراءة بسيطة لكتاب الحصري القيرواني، يمكن القول ان اسلوب ذلك الاديب- ممثلاً لادب القرن الخامس الهجري - قد جاء حاملاً درجة عالية من الوعي النظري بخصائص تصنيف الاختيارات نمطاً تصنيفياً قائماً بنفسه إذ عمد صاحبه الى ان يرسم في مقدمته المعالم الاساسية لما سلكه من منهج في تأليفه والتي يمكن تلخيصها عبر استقراء تلك المقدمة بنقاط عدة اهمها :

الاولى : إن الادب كما يفهمه الحصري - بحسب الواقع العلمي- ممّا لا موضوع له ولذا كان الأخير ((لايحفل بترتيب المسائل ولابترتيب الموضوعات وانما يتصرف من الجد الى الهزل ومن الاوصاف الى التشبيهات ومن الشعر الى النثر ومن المطبوع الى المصنوع وهذه الطريقة من اهم الطرق في التأليف وان عابها من لايفرّق بين الموضوعات العلمية والموضوعات الادبية)) (١١).

الثانيـة :ان الهدف الموسوعي الذي عرضه الحصري لكتابه وتأكيده على الإلمام بمختلف الإشارات الادبية دفعه الى الابتعاد عن مطولات الاخبار الى قصارها بعنوان كونها ((أجمل لفظاً وأسهل حفظاً)) (١٢) وهو المطلب الذي لا يمكن التسليم بحضوره على امتداد مساحة الكتاب بأعتبار ان الخبر القصير يستتبع وراءه أحياناً أخباراً أخرى ترتبط به مباشرة ومثل هذا الحال نلمحه في اكثر من موضع في كتابه بل لعلّه يمثل الخط العام لذلك الكتاب وان ادعى صاحبه الخلاف .

الثالثة : يميل الحصري الى ترك التبويب والتقسيم المنهجي الذي يكون منهجاً تقليدياً لتفصيل موضوعات التصنيف إيماناً منه بأنه امام هدف عام لا يجدي معه التبويب بل ربما كان العرض التراكمي للمادة الادبية أجدى وافضل وعلى الصعيد ذاته يضع الحصري لنفسه معياراً في اختياراته عنوانه الابتعاد قدر الامكان عن المتداول المستهلك من الاشارات الادبية إذ نجده يقول في مقدمته ((وقد رغبت في التجافي عن المشهور ،من الاسلوب الذي ذهبت والنحو الذي عوّلت عليه، لأنّ ما يقرع الآذان أدعى الى الاستحسان ممّا مجّته النفوس لطول تكراره ولفظته العقول لكثرة استمراره فوجدت ذلك يتعذّر ولا يتيسر ويمتنع ولا يتسع ويوجب ترك ما ندر إذا إشتهر وهذا يوجب في التصنيف دخلاً ويكسب التأليف خللاً فلم اعرض إلا عمّا أهانه الاستعمال أذله الابتذال)) (١٣) واضح من النّص السابق ان الحصري يعي بدقة مساحة الحرية التي يمنحها له منهجه في كتابه ولذا فأنه كان يحاول خلق نوع من خصوصية الاداء الاختياري عبر السعي وراء الشارد النادر من الاشارات ممّا يشكّل الكشف عنه ونشره بين العامة إنجازاً إبداعياً يرتقي بصانعه الى مقام هو الاقرب الى التميّز والاجادة ، وعلى الرغم ممّا عرضه الاديب المغربي لمنجزه من إطار منهجي في إختيار مادته إلا انه -وجرياً وراء عادة العلماء والأدباء في الركون الى جانب من التواضع يبرر ما سوف يقع من اخطاء محتملة -يعود في خاتمة مقدمته الى القول ((ولعلّ في كثير ممّا تركت ما هو اجود من قليل ممّا أدركت إذ كان إقتصاراً من كل على بعض ومن فيض على برض ولكني إجتهدت في إختيار ما وجدت وقد تدخلا للفظة في شفاعات اللفظات ويمر البيت في خلال الابيات وتعرض الحكاية في عرض الحكايات يتمّ بها المعنى المراد وليست ممّا يستجاد ويبعث عليها فرط الضرورة إليها في إصلاح خلل فمهما تره من ذلك في هذا الاختيار فلا تعرض عنه بطرف الانكار وما اقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب

الموسوم بزهر الاداب وثمر الالباب))(١٤) فالحصري في نصه المتقدم لا يوسم جهده التصنيفي بسمة الكمال ولا يعطي ما اختاره من مادة أدبية صفة الجودة بل يجعل من جهده مثالا قابلا للنقاش بل والاعتراض أيضا ومن هنا نجده يدعو قارئه الى الوقوف ملياًأمام عمله وعدم انكاره لغياب الانضباط المنهجي عنه كونه يمثل انتقالة واسعة بين المفردات الادبية، وأياً كان الدافع الذي حدا بالحصري القيرواني الى ان يحيط وصفه لكتابه (زهر الاداب) بطابع التواضع جرياً وراء العادة المتبعة أو إحساساً منه بغياب اللمسات الابداعية المتميزة فان واقع الكتاب القائم على مبدأ الاختيارات بما هي مجرد تجميع للمادة الادبية أو التأريخية يسمح بحضور مثل ذلك الوصف الذي يراه الحصري لائقاً بكتابه النثري وهو الذي يصف شارحه اسلوبه بالقول ((امّا نثره فمستملح ويغلب فيه السجع المقبول الخالص من شوائب الصنعة والتكلف والسجع في الاصل حلية وزينة وانما يعاب عند الغلو والاغراق))(١٥).

ولكي يكون ممكنا ان نرسم صورة ولو تقريبية لملامح اسلوب الحصري فلابد ان نعرض واحدا من موضوعات كتابه بصورة هي اقرب الى التفصيل ومن ثم الخروج من ذلك بهذا القصور او ذاك وتحت هذا الاطار سنحاول الوقوف امام اول موضوع طرقه القيرواني في كتابه بعد مقدمته التي تضمنت كما اشرنا وصفاً نظرياً لمنهجه والمسار الذي سار عليه إذ بدأ برواية ينقلها عن ابن عباس عن حديث الرسول (ص) [ان من البيان لسحرا]وما احاطه من قصة مجيء الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم اليه وتنازعهما لديه وما كشفه ذلك من فصاحة الرجلين ودقة وصف احدهما للآخر ، وبالاخص الاخير منهما الذي وصف الزبرقان بأنه ((مانعُ لحوزته مطاع في عشيرته شديد العارضة فيهم)) ثم اردفه بوصف معاكس فقال ((فوالله ما علمته إلا ضيق الفطن زمر المروءة أحمق الاب ،لئيم الخال ، حديث الغنى))ويكمل الحصري الرواية فيقول(فرأى الكراهة في وجه رسول الله(ص)لما اختلف قوله فقال :يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت وغضبت فقلت اقبح ما علمت وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية فقال رسول الله (ص) : ان من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة ويروى لحكما والاول أصح))(١٦) والحصري في عرضه للحديث يتتبع رواياته فيورد منها اكثر من واحدة مرجحاً ايها قاربت واقع الحال كما يراه -فعرض الرواية يتخذ في البناء الفني لكتاب (زهر الاداب) المحطة الاولى التي ينبثق عنها سائر المحطات فبعد ان يكتمل عرض رواية الحديث يفصّل الكاتب في التعريف باحد شخوصه وهو عمرو بن الاهتم الذي يقول عنه ((وكان عمرو يلقب بالمكحل لجماله وبنو الاهتم أهل بيت بلاغة في الجاهلية والاسلام)) (١٧) ويصف صاحبه الزبرقان إذ يقول(٠وسمي الزبرقان لجماله ، الزبرقان القمر قبل تمامه وقيل :لأنه كان يزبرق عمامته أي يصغرها في الحرب)(١٨) وإذا كان من البيان سحرا فمفرده السحر تقود القيرواني الى الحديث عنها في محطة ثالثة لمضمونه الاساس الذي افتتح به كتابه فيذكر ان بعض العرب يسمون الكلام ((السحر الحلال ، ويقولون : اللفظ الجميل من احدى النفثات في العقد (١٩) ثم يستطرد في الحديث عمّن وصف الكلام بالسحر ومنهم عمرو بن عبد العزيز حيث قال لغلام دخل مجلسه فأحسن الكلام عنده :((تكلم فهذا السحر الحلال)) (٢٠) وابو تمام الذي استعمله في وصف قصائده فقال :

هي السحر الحلال لمجتليه ولم ار قبلها سحراً حلالا (٢١)

وابو الفضل بن العميد حين ورده كتاب من بعض اخوانه فأجابه((ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً وفي تعديدماذكرت متخلفاً، لقد عرفت انه ما سمعت به من السحر الحلال))(٢٢).

ويستمر الحصري في عرض احصائية لمن نطق السحر الحلال ، في نتاجه فيرى لاحد الشعراء المحدثين يمدح كاتباً فيقول :

بدعاً من السحر الحلال تولدت عن ذهن مصقول الذكاء مشوف
مثلاً لضاربه وزاد مسافرٍ جُعِلت وتحفة قادم لأليفه (٢٣)

وإذ يصل القيرواني الى هذه الجزئية من حديثه يقف عند عبارة (تحفة قادم) فيقول خارج إطار موضوعه الأساس ((وعلى ذكر قوله ((وتحفة قادمٍ))قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :وصف رجلٌ

رجلاً فقال :كان والله سمحاً سهلاً كأنما بينه وبين القلوب نسب أو بينه وبين الحياة سبب ، انما هو عيادة مريض وتحفة قادمٍ وواسطة عقد)) (٢٤) والحصري حين يقف عندما تقدم يدرك ان له محطة اساسية يستقي منها بقية الحديث وهي ((السحر الحلال) فيعود ليصل ما انقطع من سرد تتابعي للاستعمالات الادبية لهذا التركيب فيروي عن ابن الرومي قوله في وصف حديث امرأة:

وحديثها السحر الحلال لوانــه لم يجن قتل المسلم المتَحَرّز
إن طال لم يُملَلْ وإن هي اوجزت ودَّ المحدّث انها لم تُوجـز
شرك العقول ونزهة مامثلهـا للمطمئن وعُقْلة المستوفز (٢٥)

وعند بيت ابن الرومي الاخير يقف الحصري ليرى ان الشاعر المَّ بمعنى طرقه قبله ابو تمام الطائي بقوله :

كواعب اتراب لغيداء أصبحت وليس لها في الحسن شكلٌ ولا تربُ
لها منظرُ قيد النواظر لم يزلْ يروح ويغدو في خفارته الحبُّ(٢٦)

وكحاله حين قطع الحديث عن السحر الحلال بالحديث عن (تحفة قادمٍ) يجعل القيرواني من تعبير (قيد النواظر)الذي اورده ابو تمام منطلقاً للحديث عن جزئية اضافية تخرج عن اطار الموضوع الاساس فيروي ان اول من استشار هذا المعنى واخترعه امرؤ القيس بن حجر الكندي في قوله :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل (٢٧)

وقالت علية بنت المهدي :

اشرب على ذكر الغزال الأغيد الحلو الدلال
اشرب عليه وقل له : ياغلَّ ألباب الرجال (٢٨)

وفي هذا الموضع من الحديث يتخلى الحصري عن ثوب الراوي ليسجل رأياً نقدياًفي علية بنت المهدي فيراها ((لطيفة المعنى رقيقة الشعر وحسنة مجاري الكلام ولها الحان حسان)) (٢٩)فيجعل من هذا الحكم مدخلاً لعرض شيء من تأريخها ،وكيف انها احبت عبداً فكانت لها معه ومع الرشيد حكاية(١)وهو إثر ذاك يعرض اشعارها فهي القائله :

وضع الحب على الجور فلو أنصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن في نعت الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج (٣٠)

وبيت علية الاول يدفع بالحصري الى القول انها ربما ذهبت في معناه مذهب العباس بن الاحنف إذ يقول:

وأحسن ايام الهوى يومك الذي تروع بالهجران فيه وبالعتبِ
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتبِ (٣١)

ويستطرد صاحب زهر الاداب في الوقوف عند اكثر من شاهد على ذلك المعنى فيروي للراعي النميري الشاعر الاموي ابياتاً (٣٢)ومثلها في دلالتها لأحد المحدثين يقول فيها :

لولا اطراد العيد لم تك لذة فتطاردي لي في الوصال قليلاً
هذا الشراب اخو الحياة ومالَهُ من لذةٍ حتى يصيب غليلا (٣٣)

ثم يروي عن الاصمعي في المعنى ذاته لجميل بن معمر ابياتاً ثلاثة يقول فيها :

لا خير في الحب وقفاً لا تحركه عوارضُ اليأس او يرتاحه الطمعُ
لو كان لي صبرها او عندها جزعي لكنت أملك ما اتي وما أدعُ
اذا دعا بأسمها داع ليحزنني كادت له شعبة من مهجتي تقعُ (٣٤)

إزاء هذه الابيات يقف الحصري وقفة نقدية ليراها قريبة فنياً من ابيات مشابهه لابن الرومي :

لاتكثرن ملامة العشـــاق فكفاهم بالوجد والأشواق
إن البلاء يطاقُ غير مضاعفٍ فإذا تضاعف كان غير مطاق
لا تطفئن جوى بلؤم إنـــه كالريح تغري النار بالاحراق(٣٥).

وإذ يواصل الحصري استقصاؤه لما يشبه بيت علية بنت المهدي الاول من ابيات يعود لينظر في بيتها الثاني فيراه أشبه ما يكون ببيت أ نشد في شعر روي لابي نؤاس ورواه قوم لجارية الناطفي وهو قوله :

حلو العتاب يهيجه إلادلالْ لم يحل إلا بالعتاب وصالُ
لم يَهْوَ قط ولم يُسمَّ بعاشقٍ من كان يصرف وجهه التعذال (٣٦)

ويبدو الحديث عن علية بنت المهدي وابياتها في الغزل وما شابهها من ابيات قريبة لمعانيها يمثل لدى القيرواني خروجاً عن دائرة مضمونه (قيد الآوابد) الذي إستله من قضية (السحر الحلال)التي استرسل الحديث عنها ومن هنا نجده وقد عاد الى جزئية (قيد الآوابد) يصل في استيفائها ما إتصل فقال ((وقد اخذ ابو الطيب المتنبي معنى (قيد الآوابد) يصف كلباً :

نيل المنى وحكم نفس المرسلِ وعقلة الظبي وحَتف التتفل
كأنه من علمه بالمقـــلِ علم بقراط فصاد الاكحلِ (٣٧)

ثم يقول ((وقال اعرابي يصف فرساً : انه لدرك الطالب ومنجى الهارب وقيد الرهان وزين الفناء وقال بعض اهل العصر في وصف غلام :وجهه قيد الابصار وامد الافكار ونهاية الاعتبار)) (٣٨) . وقال ابو القاسم إسماعيل بن عباد في معنى مقارب :

وقد اغتدي للصيد غدوة أصيَدٍ أعاجل فيها الوحش والوحش هجَّدُ
فعَنَّت ظباءٌ رجفن تحتي مطلق الـ يدين به ايدي الوحوش تُقيـَّدُ (٣٩).

وإذ ينتهي القيرواني من جزئية (قيد الاوابد) يعود الى قضية كان قد المَّ بجانب منها فيما سبق وهي وصف ابن الرومي لامرأة بأن حديثها هو السحر الحلال وفيها يقول :

وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم المتحرّز (٤٠).

فنجده يقول ((وأبيات أبن الرومي من أجود ماقيل في حسن الحديث وقد توّسع الشعراء في هذا الباب وكثر إحسانهم كما كثر افتتانهم وسأجري شأواً في مختار ما قيل في ذلك وأعود الى ما بدأت به)) (٤١)ويستهل الحصري عرضه الى من وصف الكلام بما يشبه وصف ابن الرومي بقول القطامي وإسمه عمير التغلبي :

وفي الخدود غماماتُ برقنَ لنا حتّى تصيدننا من كل مصطادِ
يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكنونه بادي
فهن ينبذن من قولٍ يصبن به مواقع الماء من ذي الغلة الصادي (٤٢)

و مفردة (القطامي) تستثير الحصري فلا يلبث ان يقف على أصلها قائلاً ان اساسها بيت قاله الشاعر فتلقب به ثم ينقل عن ابي عبيدة انه يقال للصقر قطامي وقطامي(٤٣) وايا كان الحال فيما يبدو في هذا المقطع اليسير ان مؤلف (زهر الاداب) يحاول قدر المستطاع الاّ يترك شارد ة ولا واردة تمر من امامه الا ولمّح لها تلميحاً او استوفى اجزاءها استيفاءاً ثم يعود الى ما كان عليه حديثه ومن هنا نجده وقد انتقل من الحديث عن القطامي واصل تسميته الى شاعر اخر قارب في وصفه للكلام مسلك بن الرومي وهو ابو حية النميري واسمه الهيثم بن الربيع الذي ينقل عنه الحصري مقطعين يقول في الثاني منهما :

حديثٌ اذا لم تخش عيناً كأنـه ساقطته الشهد او هو اطيبُ
لو انك تستشفى به بعد سكرة من الموت كادت سكرة الموت تذهب (٤٤)

وينقل عن سديف مولى بني هاشم في وصف بعض النساء قوله :

وإذا نطقن تخلهن نواظماً دُراً يفصّلُ لؤلؤاً مكنوناً (٤٥)

ليصل الى قول ابي تمام :

تعطيك منطقها فتعلم انه لجنى عذوبته يمر بثغرها
وأظن حبلَ وصالها لمحبّها أوهى وأضعف قوةً من خصرها (٤٦)

وإذ يصل الى المقطع الاخير يستعيد الحصري وعيه النقدي المميّز فيرى ان مضمون ابي تمام هذا أخذه ابن هانئ الاندلسي فقلبه جاعلاً اياه في مديح جعفر بن علي إذ قال :

قد طيّبَ الافواه طيب ثنائه من اجل ذانجد الثغور عِذابا(٤٧)

ثم نجده يقول - أي الحصري - ((ومن جيد هذا المعنى وقديمه قول النابغة الذبياني :

لو انها عرضت لا شمط راهبٍ عبدَ الاله صَرُورَةٍ متعبدِ
لرنا للهجتها وطيب حديثها ولخاله رشداً وإنْ لم ترشدِ
نظرت اليك بحاجةٍ لم تقضها نظر السليم الى وجوه العوَّدِ

ومن مشهور الكلام قول الاخر :

وكنت اذا زرت سُعْدى بأرضها أرى الارض تطوى ليَّ ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها إذا ما انقضت احدوثةٌلوتعيدها
تُحلّل احقادي اذا ما لقيتها وترمى بلا جُرْمٍ عليّ حقودها (٤٨)

ثم يستشهد القيرواني لبشار بن برد قوله في وصف حديث امرأة:

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زَهْرا (٤٩)

وهوبهذا يجعل من (بشار) مدخلاً لجزئية اخرى يقف عندها قليلاً فيروي قصة الاخير مع كثير عزة حين سمع قوله:

إلا انما ليلى عصا خيزرانةٍ إذا غمزوها في الاكف تلين

فقال : قاتل الله ابا صخر يزعم انها عصا خيزرانة ويعتذر بأنها خيزرانة ولو قال : عصا مُخاوٍ عصا زبد لكان قد هجَّنها مع ذكر العصا هلا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من مَعَدٍّ كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامت لحاجتها تثنت كأنَّ عظامها من خيزران(٥٠)

وبنفس موسوعي واضح يمرَّ الحصري بيت كثير الذي انتقده بشار ووضع قبالته مايراه أنسب وأصلح فلا يتركه الاَّ وقد اكمله وكأنه يدرك حاجة القارىء له او رغبته في ان يلمَّ بتكملة عنه ومن ثم يكون من الممكن للكاتب ان يعود الى جزئية (الحديث الحسن) ليكمل فيها سرد امثلته ومنها قول البحتري متغزلاً:

ولما التقينا واللوى موعد لنا تعجب رائي الدَّرِّ حسناً ولاقطهْ
فمن لؤلؤ تجنيه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطهْ

ومثله قول المتنبي :

أمنعمة بالعودةِ الظبيـة التي بغير وليٍّ كأن نالها الــوسمي
ترشفت فاهاً سحرةً فكأنـني ترشفت مرَّ الوجد من بارد الظلمِ
فتاةٌ تساوى عقدُها وكلامها ومبسمها الدُرِّيُّ في النثر والنظمِ(٥١)

وإذ يصل الحصري الى هذا الموضع يعود الى القضية الاولى التي انطلق منها وهي حديث الرسول محمد (ص) فينقل عن عدد من العلماء ورواة الحديث انه (ص) قال : إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحرا)) .

وتفسيره من قبل راويه إنَّ من الشعر مايلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه إصابة للمعنى وقصداً للصواب وفي هذا يقول ابو تمام :

ولو لاسبيل سنها الشعر مادرى بغاة العلى من اين تؤتى المكارمُ
يُرى حكمة مافيه وهو فكاهةٌ ويرضى بمايقضي به وهو ظالمُ(٥٢)

ويضيف القيرواني معلقاً على الحديث وروايته ((وقد وجدنا في الشعر ابياتاً يجرى على رسمها ويمضى على حكمها))(٥٣) أي ابياتاً تطرح من المضامين والمعاني ما يُغيّر واقع الحال قبولاً او رضا وامثلة تلك الابيات كثيرة يحصي الحصري منها قول الحطيئة يمدح بني انف الناقة :

سيري أمامَ فأن الاكثرين حصى والاطيبين اذا ماينسبون ابــا
قومٌ اذا عقدوا عقداً لجارهــم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
قومٌ هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوّي بانف الناقة الذنبــا

فبعد ان كان القوم يأنفون من نسبهم صاروا لايبدأون الا به (٥٤) وخلاف هؤلاء كان بنو العجلان الذين كانوا يفتخرون بلقبهم فلما هجاهم النجاشي الشاعر في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كرهوا لقبهم وصاروا اذا انتسبوا يقولون : من كعب (٥٥)ومثلهم بني النمير الذين كانوا من جمرات العرب وكان الرجل منهم إذا قيل له : ممّن انت قال : نميري كما ترى ،ادلالاً بنسبه وافتخاراً بمنصبه فلما قال جرير للراعي النميري بيته المشهور :

فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولاكلاباً

صار الرجل منهم اذا قيل له ممن انت ؟ يقول :عامري ولكني عن نمير (٥٦)ويستطرد الحصري في الحديث عن اناس آخرين مسهم الشعر فقلل من منزلتهم او رفع من شأنهم بلا استحقاق ليفيض في الحديث عن قضية بني نمير مع جرير ناقلاً حكم شاعرهم الراعي في شعره لما لما سمع ابياته في هجاء غيره وفيها :

وعاو عوى من غير شيء رميته بقافية إنفاذها تقطر الدما
حُروج بأفواه الرواة كأنها قرى هندواني إذا هزَّ صمما

إذ جعل يقول ((لعن الله من يلومني أن يغلبن مثل هذا)) (٥٧) وإذ تكون رحال القيرواني في عرضه السابق لتجارب بعض الاقوام مع الشعر قد وضعت عند هذا الحكم النقدي الذي ينقله عن الراعي فأنه يقف وقفته الاخيرة امام القضية ذاتها ليرى ان الشعر قد بنى لقومٍ (بيوتاً شريفة وهدم لاخرين ابنية ضعيفة)) (٥٨) ونجده هنا يستعرض بعض الاقوال في هذا المعنى كقول ابي عبيدة معمر بن المثنى حين سمع رجلاً يصف الشعر بالميسم فيعترض عليه ((وكيف يكون ذلك كذلك ؟ والميسم يذهب بذهاب الجلد ويدرس مع دول العهد والشعر يبقى على الأبناء بعد الآباء ما بقيت الارض والسماء)) (٥٩) ولا ينسى الحصري ان يلمَّ ببعض المضامين الشعرية في المجال نفسه فيروي لابي تمام مقطعين ثم يختم حديثه بأبيات الرومي في حقيقة الشعر ومنها :

ارى الشعر يحيي الناس والمجد بالذي تبــقيه ارواحُ لــه عطراتُ
وما المجد لولا الشعر الا معاهدٌ وما الناس الا اعظم نخراتُ (٦٠)

وحيث ينتهي من بيتي ابن الرومي هذين نكون امام عنوان جديد هو (شذور من كلام الرسول) يصل به الحصري ما انقطع في اول كتابه من حديث للرسول محمد (ص) فيقول ((وأصل الى ما قطعتْ مما هو احق واولى وأجلَّ واعلى وهو كلام رسول الله (صلى الله عليه واله وسلّم) الكريم البحر العظيم القدر الذي هو النهاية في البيان والغاية في البرهان)) (٦١)ونستكفي ماتقدم من قضايا عالجها الحصري لنحول الوقوف امامها برؤية فنية واستجلاء ملامح الاسلوب الادبي والذي يكشف عمّا وراءها من قضايا سار فيها القيرواني المسار ذاته

فصار عرض بعضها وقراءته مغنياً عن قراءة الجميع وإزاء ما تقدم من وصف إجمالي للمضامين والقضايا التي عالجها صاحب زهر الاداب يمكن تسجيل عدد من المؤشرات الدالة على اسلوبه فنياً ومنها :

أولاً: إن الميل نحو (الموسوعية) وشمولية الاستيعاب يكاد يطغى على المحتوى الادبي لهذا الجزءمن الكتاب ومن ثم على الكتاب بأجملة و الموسوعية سمة للأسلوب تتخذ عدة اشكال فهناك الجمع بين الاشارة التأريخية والادبية والشعرية والنقدية تحت عنوان فرعي واحد يجمعها ولقد مر عبر استعراض الموضوع الاول من الكتاب كيف ان الحصري يقف بعد استعراض البيت ليقيمه او يحاول ربطه نقدياً ببيت مشابه فكان موضوعه الاساس مسرحاً لآراء نقدية لعل من اهمها ماتحدث فيه عن علية بنت المهدي والنابغة وابن الرومي (٦٢)هذا من جانب ومن جانب آخر يبدو الطابع الموسوعي لها

واضحاً أيضاً من زاوية محاولة القيرواني الإلمام بتفاصيل بعض المفردات المضمونية او الجزئيات -ان صح التعبير- ادبياً ولغوياً ونقدياً وكأنه يحاول سد كل الثغرات التي تواجه قارىء تلك المفردات في هذا الجانب او ذاك فقد وجدناه يقف عند مفردة السحر الحلال فيستعرض ابيات الشعراء الذين جعلوها وصفاً للحديث الحسن فلا يجعله ذلك يقف عند حدود تلك اللفظة بل انه يتمادى في عرضه الشمولي فيأخذ مفردة ترد في سياق البيت الشعري ليجعلها محور نقاشه كما فعل مع (قيد الاوابد) التي استلها من ابيات لعلية بنت المهدي فجعل يذكر من وصفها من الشعراء في قصائده ابتداءاً من امرؤ القيس قبل ان يعاود الحديث الاول ذاته والذي أجده في هذا النفس الموسوعي او الذي يراد له ان يكون موسوعياً انه يميل بالحصري كثيراً الى سمة عرفت عن الجاحظ قبله وشكلت احدى اهم معالم اسلوبه من الناحية الفنية فقد كان هذا الاخير اكثر الكتّاب ميلاًالى الاستطراد إذ يمكن لكل من يقرأ الجاحظ ان يلمح ((حالاً من الاستطراد في التأليف فهو دائماً ينتقل من باب الى باب ومن خبر الى خبر ومن شعر الى فلسفة ومن جد الى هزل في تشعب هائل)) (٦٣) ويرى احد الباحثين في حديثه عن الجاحظ ان الاستطراد احدى ميزاته البارزه وهو ذلك الانتقال من موضوع الى موضوع وبتر الموضوع والانتقال الى غيره ثم العودة اليه ثانية لا عجزاً منه عن تسلسل موضوعاته تسلسلاً منطقياً او عن ترتيبها وتقسيمها الى ابواب وفصول بسبب عدم قدرته على التركيز الذهني والترتيب المنطقي لمرضه وكبر سنه كما قد يتصور البعض بل لانه قصد ذلك وعمد اليه تعمداً وهو منهجه الذي ارتضاه لنفسه في التأليف وصرح به مراراً في مقدمات كتبه(٦٤) والواقع ان مثل هذا الكلام ينطبق تماماً على اسلوب الحصري القيرواني كما بدا في استعراض الموضوع الاول في كتابه إذ انتقل من رواية الحديث النبوي الى الاشارة التأريخية فالترجمة لأحد شخوص تلك الاشارة ومن ثم الى الاشارة اللغوية فالنقدية ، وهكذا الى ان يستوفي الحديث في كل هذه الأبواب بما يرا ه مستوعباً لها ، وفي رأيي ان سمة الاستطراد في كتاب زهر الاداب تجعله اقرب مايكون الى كتب الامالي والمنهج الذي يسير عليه حيث يكون الكاتب محتاجاً الى الالمام بجزئيات موضوعه الاساس من جهه والتنقل بين اكثر من موضوع من جهه اخرى ومن ثم العودة الى الموضوع الاساس وأياً كان الحال فالحصري كان يدرك في وضع كتابه الدافع الموسوعي وراء كتابته فهو بصدد الالمام بالحصيلة الفكرية والادبية التي يطلبها من وضع الكتاب لاجله وبالتالي فلا غنى له عن التنوع وتعدد الاتجاهات والمسارات.

ثانياً : يتركز البناء الفكري لكتاب زهر الاداب وثمر الالباب من خلال استعراض جانب منه على تكوين مدخل موضوعي اساس كحديث النبي محمد (ص) يتولى الكتاب سرد روايته ثم اختيار جزئية فيه وشباعها شرحاً او الماماً وهو ما حصل في ترجمته لعمر ابن الاهتم الذي دعا كلامه الرسول محمد (ص) الى ان يقول : ((ان من البيان لسحراً))ثم يأخذ جزئية اخرى وهي وصف البيان بالسحر فيحاول استقراء ديوان العرب الشعري واستعراض من ألمَّ بها في شعره او في كلامه كأبي تمام وعمر بن عبد العزيز وآخرين وهنا يجعل الكاتب من جزئية في بعض الابيات مناسبة لقطع حديثه الاساس ثم لا يلبث ان يعود الى الشعراء فيذكر أبيات ابن الرومي ووصفه حديث امرأة بالسحر الحلال ليكون هذا البيت مدخلاً فرعياً لقضية اخرىوهي علاقته بأبي تمام ولتكون لفظة ترد في ابيات الاخير موضوعاً جديداً يعود بعد استيفاء الحدبث عنه الى موضوعه الاساس وهكذا، والذي يمكن قوله ان في أسلوب الحصري من جهة البناء الفني نوعاً من التفريع واشتقاق الموضوعات او جزئياتها عبر الوقوف امام الشاردة والواردة فيها ومحاولة البحث عنها لغوياً او بلاغياً او الالمام بحكم نقدي عنها ومن ثم العودة الى الموضوع الاصلي الذي أبتدأ به المقام فثمة مسار اساس يدرك القارىء لكتاب(زهر الاداب) وجوده وهو الموضوع العام الذي يقوم عليه كتابه ومسارات فرعية تنبع من الاول فتشكل لنفسها وجوداً مستقلاً في الظاهر لكنه متصل في الباطن سرعان ما يتلاشى بعودة الكتاب الى قضيته الاولى وحديثه الاساس ، وهذه الحقيقة إن هي دلت على شيء فأنها تدل بلا شك على رغبة الكاتب الملحة في الاستيفاء بجميع جوانب القضية التي يدرسها فلا هو تارك منها جانباً لغوياً ولا جانباً أدبياً ولا حتى مجالاً لعبور قدرتها

على استنهاض الحكم النقدي لديه وكل ذلك يعزز القول بأن للحصري اسلوبه في الاختيار ومعالجته تقارب اسلوب الامالي التي يغيب فيها صوت الراوي وتذوب شخصيته وراء اختياراته إلا من لحظات يكون لها فيهافضل الجمع والتبويب وربط اللاحق بالسابق بصلة او باخرى.

ثالثاً : فضلاً عن موسوعية الحصري التي حاولت ان تتجاوز كل المعارف تتيح الكشف عنها المضمون المختار ذاته وتميَّز اسلوبه وبالاخص في المفاصل التي برزت فيها شخصيته وبانت معالمه الذاتية بالعناية في اختيار كلماته فصيحة سهلة وبتركيب جمله تركيباً واضحاً دالاً على معناه دلالة ظاهرة بحيث جاء كلامه مطابقاً في جزالته او سهولته لمقتضى الحال و لافهام قارئيه وقد تبين ذلك في كثير من جوانب ماعرضنا له من موضوعات سابقة فعبارة ((نظيفة المعنى رقيقة الشعر حسنة مجاري الكلام ولها الحان حسان))(٦٥) بما تمثله من علاقة بالكاتب كونها من العبارات الذاتية الخارجة عن اطار السرد التأريخي للموضوع الذي قد لا يجعل للكاتب مجالاً لابراز ذاته مثل هذه العبارة جاءت بأسلوب هادىء بسيط يبدو الهدف منه ايصال الحكم النقدي الى المتلقي عن شاعرةٍ أورد الحصري نتفاً من حياتها وادبها بما يناسب المقام فجاءت المفردات المستعملة فيها بسيطة مفهومة الدلالة تطابق مقتضى الحال لم يحاول الكاتب ان يلونها بلاغياً او يثقلها بمفردات بديعية كالسجع او الطباق او الجناس لان وعيه بأهمية وصول النص الى القارىء مفهوماً واضحاً يطغى على كل ذلك فيميل باسلوبه الى الوضوح واليسر ، والذي يمكن قوله أن النصوص القليلة التي خرج بها الحصري عن دائرة النقل وتسجيل الموضوع الى رحاب التعليق الذاتي لم تعدم شيئاً من البناء اللغوي القائم على بعض المفردات والآليات البلاغية ولكن حضور الاخيرة لم يكن بالشكل الواسع الممتد ولابتلك الدرجة العالية من الفن او البحث عن الغريب في اللفظ او في الاستعمال ولننظر الى الازدواج في قوله ((وقد وجدنا في الشعر ابياتاً يجرى على رسمها ويمضى إلى حكمها))(٦٦) وقوله ان الشعر قد يبني لقومٍ ((بيوتاً شريفة هدم لاخرين أبنية ضعيفة)) (٦٧) فاننا نلحظ المقابلة بين المفردات (رسمها ، حكمها) و(بيوتاً،ابنية) (شريفة، ضعيفة) وعلى الرغم مما تنضوي تحته تلك المفردات من عناوين بلاغية إلا ان استعمالها من قبل القيرواني لم يخرج بها عن حدود البساطة والسهولة والايحائية في التعبير والدلالة ربما لقصرها ولكونها غير متصلة بعبارات اخرى تنضم اليها في السياق ذاته وليس هذا بغريب لان تلك المفردات تمثل المساحة التضيفية المتاحة للكاتب في ان يكون خارج اطار (المنقول)من المفردات وهي مساحة صغيرة لاتدع للاخير مجالاً لان يلون او يتلاعب بالمفردات وكيف له ذلك وحواليه نصوص واضحة الدلالة بعيدة كل البعد عن التزويق ووراءه متلقٍ يبحث عن الالمام بالمادة الادبية المعروضة في اسهل عبارة واتمّ تفصيل.

رابعاً : لضيق المساحة التي اتاحها موضوع الكتاب لمؤلفه في ان يكون حاضراً بذاته وشخصيته في خضم المضامين التي يطرحهالم يكن ثمة سبيل لظهور معالم ولو اولية لصورة فنية هنا او هناك ودراسة الحصري املت على اسلوبه ان يكون علمياً حتى في اشاراته الادبية او احكامه النقدية ولا غرابة في ذلك اذ لم يكن المقام مقام ابداع ذاتي وصياغة نقدية شخصية لمضمون ليست له صلة بالمنقول من الاشارات كي ما يكون المجال مفتوحاً للتلوين الدلالي هنا او بناء الصورة الفنية هناك وانما كان الاهم لدى الحصري ان يجمع ويشرح ويربط بين الاجزاء بمعيار عام يمكن الخروج عنه مراراً ومن ثم العودة اليه فأسلوب الحصري لم يكن تصويرياً يعتمد المجاز في طرحه قدر ما كان مباشرياً يحاول الوصول الى المضمون المطلوب بطريق أسهل وأيسر ليعود الى (المنقول) من جديد يستعرضه فيحكم عليه او يقارن بين مفرداته بروح علمية ذات طابع نقدي واضح للعيان .

خامساً : على الرغم من احتفاء الحصري القيرواني بالسجع –آلية بلاغية ذات قدرة على الايحاء وايقاع خاص – بشكل بسيط فأنه يمكن الاشارة الى ان في اسلوبه شيئاً من الموسيقى الداخلية التي تشيع في نثرة شيوعاً واضحاً على قلة حضور ذاته في ثناياه وقد حقق القيرواني ذلك في دقة موازنته بين عباراته طولاً وقصراً وفي المزاوجة بينهما تأليفاً وفي اعتماده على اسلوب التكرار

والترادف وإن بشكل قليل ، والذي ينبغي الوقوف عنده أخيراً انه اذا كانت المقدمة التي ساقها الحصري لكتابه (زهر الاداب) واستعرضت جانباً منها قد تشبعت بروح التلوين البلاغي فطغى عليها السجع بدلالته الايحائية و الايقاعية فأن تلك السمة لم تكن حاضرة بالقوة ذاتها في موضوع الكتاب نفسه اذ بقيت مجرد لمحات بسيطة وبحضور أقل ولعل ذلك يفسر المنحى العام لاسلوب الحصري فهو في مقدمته كاتب ناثرله اسلوبه الخاضع لعصره ومسلماته الفنية القائمة على إعتماد التلوين البلاغي سمة اساسية ولكنه في كتابه ذاته كاتب مقيّد بالمضامين التي يستعرضها على النحو التاريخي فان هو وجد مساحة للحديث عن هذا الجانب او ذاك اتاح لشخصيته ان تظهر فجاء ظهورها مقيّداً بضيق المساحة و متطلبات المقام لتكون النتيجة اسلوباً بسيطاً لم تغادره المفردات الفنية التي احتشدت بقوة في المقدمة ولكنها ظلت بمنأى عن ان تطغى عليه او تسلب منه سهولته .

الخاتمة :

يبدو من استعراضنا السابق لجانب من كتاب الحصري القيرواني (زهر الاداب وثمر الالباب) ان ثمة ملامح عامة يمكن استقراؤها لاسلوب هذا الكتاب المغربي من وجهة نظر فنية وفي مقدمة تلك الملامح:

اولاً : إن اسلوب الحصري يرتبط بالعنوان العام الذي ينضوي تحته كتابه وهو(الاختيارات) وبالتالي فأنه يقوم على اساس جمع المادة الادبية وترتيبها والتفرع في الحديث عنها تارة - وهو الاغلب- بلغة الراوي المسجل تسجيلاً حرفياً للمفردة الادبية -ان صح التعبير- واخرى -وهو الاقل - برؤية الناقد الذي يجد لذاته وعقله مكاناً ضيقاً وسط المضامين المنقولة يحاول شغله بحكم نقدي هنا او اشارة هناك ومن هنا امكن القول ان اسلوب الحصري يتمثل في تلك المحطات التي تفصل المادة الادبية المعروضة وهي قليلة في الاعم الاغلب .

ثانياً: طغيان طابع الاستطراد على اسلوب القيرواني ويبدو ذلك جلياً في انتقالاته المتعددة عبر الابواب المختلفة فهو يتبع بالحديث هذه النقطة او تلك ثم يتناول اخرى يفصلها بالشرح ليعود الى موضوعه الاول وهكذا وكل هذا الانتقال تحكمه الروح الموسوعية الطاغية التي تسيطر على نتاج الحصري فتملي عليه الالمام باكبر مستوى من (المادة) في اقل عدد من الصفحات اشباعاً لرغبة المتلقي في ان يلم بالحصيلة الكاملة لادب العرب شعراً او نثراً .

ثالثاً : سيادة روح البساطة والسهولة في العرض والتعبير على اسلوب القيرواني وتلك سمة تبدو واضحة في المقاطع البسيطة التي يكون فيها الكاتب حر التعبير غير مقيّد بلوازم المادة الادبية (المنقولة نقلاً حرفياً) بل ان المادة ذاتها وان كانت خارجة عن ارادة الحصري نفسه تميل الى ان تكون بسيطة التركيب سهلة المأخذ وما ذاك إلا لأن الطابع العام للكتاب تغلب عليه روح الافادة التي تتطلب ايصال الفكرة باسهل طريق وايسره.

رابعاً: يبدو اسلوب الحصري قليل الاحتفاء بالآليات البلاغية المعروفة ومع ذاك فثمة مواضع لديه اتشحت بثوب الفنون البديعية فخلفت وراءها مستوى من الايحاء والقدرة التعبيرية يجعلنا نميل الى القول بان الروح الموضوعية والنفس الموسوعي اللذين سيطرا على الكاتب لم يضيقا الخناق كلية على الجوانب الفنية فيه فجاءت عبارات الحصري القيرواني وقد نطقت بمستويات من الاداء الفني الواضح لم ترتق الى ما ارتقت اليه مقدمة الكتاب ذاته لكون الاخيرة مسرحاً عريض الابعاد لحركةٍ حرة غير مقيدة بمادة يراد عرضها حرفياً .

خامساً: ان اسلوب القيرواني لا يخرج عن اطار الأساليب النثرية التي يؤثر فيها موضوع الكتابة فيضفي عليها لونه الخاص فكما ان من اولويات موضوع (زهر الاداب) اعتماد السهولة في عرض المطلب وما يتطلبه من اضافات فإن من اولويات اسلوب كاتبه ان يكون بسيطاً في دلالته سهلاً في تركيبه موضوعياً لا تغادره روح الفن كلية بل يبقى متعلقاً بها بسبب او بأخر .

الهوامش :

(١) سير أعلام النبلاء ١٣٩/١٨ وفي كشف الضنون ٧٨٥/١ أن وفاته كانت سنة ٤١٣ للهجرة وهي الرواية الأصح على مايبدو ،ن .ظ /نظرة تأريخية في حركة التأليف عند العرب /١٦٣ .
(٢)شذرات الذهب ٣٨٥/٢ .
(٣) وفيات الاعيان ٣٣٢/٣ وقد ورد ذكر الكتاب أيضا في الحلة السيراء ٢٩٢/١ .
(٤) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب /١٩٤ .
(٥)زهر الآداب وثمر الألباب ١٥/١ .
(٦)نفسه ٣٥/١ .
(٧) نفسه ٣٣/١ .
(٨)نفسه ٣٤/١ .
(٩) نفسه ٣٥/١ .
(١٠) زهر الآداب وثمر الالباب ٣٦/١ .
(١١) زهر الآداب وثمر الالباب ١٤/١-١٥
(١٢) نفسه ١/ ٣٤ .
(١٣)زهر الاداب وثمر الالباب ٣٦/١ .
(١٤)نفسه ١ / ٣٨ .
(١٥)نفسه ١٤/١ .
(١٦)زهر الاداب وثمر الالباب ٣٨/١-٣٩ .
(١٧) نفسه ٣٩/١ .
(١٨) نفسه ٣٩/١.
(١٩) نفسه ٤٠/١
(٢٠) نفسه ٤٠/١ .
(٢١) نفسه ٤١/١ .
(٢٢) نفسه ٤٢/١ .
(٢٣)زهر الاداب وثمر الالباب٤٢/١ .
(٢٤)نفسه ٤٢/١.
(٢٥) نفسه ٤٢/١ .
(٢٦) نفسه ٤٣/١ .
(٢٧) نفسه ٤٤/١ .
(٢٨) نفسه ١/ ٤٥.
(٢٩) زهر الاداب وثمر الالباب ٤٣/١.
(٣٠) نفسه ٤٤/١ .
(٣١) نفسه ٤٤/١ .
(٣٢) نفسه ٤٤/١ .
(٣٣) نفسه ٤٥/١ .
(٣٤) نفسه ٤٥/١ .
(٣٥) زهر الاداب وثمر الالباب ٤٥/١ .
(٣٦) نفسه ٤٥/١ .
(٣٧) نفسه ٤٦/١ .
(٣٨) نفسه ٤٧/١ .
(٣٩) نفسه ٤٢/١ .
(٤٠) زهر الاداب وثمر الالباب ٤٧/١ .
(٤١) نفسه ٤٨/١ .
(٤٢) نفسه ٤٧/١ . .
(٤٣) نفسه ٤٩/١ .

(٤٤) نفسه ٤٩/١ .
(٤٥)نفسه ٥٠/١ .
(٤٦)زهر الاداب وثمر الالباب ٥٠/١ .
(٤٧)نفسه ٥١/١ .
(٤٨) نفسه ٥١/١ .
(٤٩) نفسه ٥٢/١ .
(٥٠)زهر الاداب وثمر الالباب ٥٢/١-٥٣ .
(٥١) نفسه ٥٣/١ .
(٥٢) نفسه ٥٣/١ .
(٥٣) نفسه ٥٤/١ .
(٥٤) نفسه ٥٤/١.
(٥٦)زهر الاداب وثمر الالباب ٥٥/١ .
(٥٧) نفسه ٥٧/١ .
(٥٨)نفسه ٥٧/١ .
(٥٩)نفسه ٥٨/١ .
(٦٠)نفسه ٥٩/١ .
(٦١) نفسه٥٩/١ .
(٦٢)زهر الاداب وثمر الالباب ٤٢/١.
(٦٣)الفن ومذاهبه في النثر الادبي/١٦٦ .
(٦٤) تطور النثر في البصرة في القرنين الثاني والثالث الهجريين(ابن المقفع والجاحظ) /٥٠١ .
(٦٥) زهر الاداب وثمر الالباب ٤٣/١ .
(٦٦) نفسه ٥٣/١ .
(٦٧)نفسه ٥٧/١ .

المصادر والمراجع :

(١)تطور النثر في البصرة في القرنين الثاني والثالث الهجريين (ابن المقفع والجاحظ)/د. محسن غياض عجيل /موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة الفكرية) جامعة البصرة المركز الثقافي /٢٠٠٢ .
(٢) الحلة السيراء ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت٦٥٨ هـ)-ط٢ -دار المعارف - القاهرة (د.ت).
(٣)زهر الاداب وثمر الالباب/ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت٤٥٣ هـ)/تح:د.زكي مبارك ، محمد محيي الدين عبد الحميد /ط غ /دار الجيل -بيروت /١٩٧٢ م.
(٤)سير اعلام النبلاء-ابو عبد الله محمد بن احمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)-تح: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي/ط٩ /مؤسسة الرسالة /بيروت ١٤١٣ هـ.
(٥)شذرات الذهب في اخبار من ذهب-العكري الدمشقي عبد الحي بن احمد (١٠٨٩هـ)-دار الكتب العلمية/بيروت(د.ت)
(٦)الفن ومذاهبه في النثر العربي /د.شوقي ضيف /ط٥/ دار المعارف بمصر -١٩٧٢ م.
(٧)كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون/مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (١٠٦٧هـ)-دار الكتب العلمية-بيروت-١٩٩٢ م.
(٨)نظرة تأريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والادب/د. امجد الطرابلسي /ط٣/المكتبة العربية/حلب ١٩٦٦ م.
(٩)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب/المقري التلمساني/تح احسان عباس/دار صادر/بيروت ١٩٦٨.
(١٠) وفيات الاعيان وانباء الزمان -ابن خلكان(٦٨١هـ) /تح احسان عباس /دار الثقافة /بيروت١٩٦٨ م.

ABSTRACT

((in the style of the exclusive blossom and fruit minds of Arts))

This research sheds light on the style in the book, the exclusive (flower and fruit minds of Arts), where it can be said that the style of this writer instead

of a representative of the fifth century AH was the holder of a high degree of awareness of the theoretical characteristics of the classification tests creative pattern-based classification itself, in addition to the encyclopedic Husari I tried to go beyond all knowledge, which allows disclosure of the content itself, characterized by his style, especially in the joints where there Pant features, personality and self-care test his Vsihp easy to install and Monosp Total synthesis and a clear illustration of the meaning of a sign identical to, he came in Dzalth easy or appropriate to.